ثراء النقد الأدبيّ
في مجالس شعراء العهد الأموي

إعداد

د. سليمان إبراهيم عبدالله إبراهيم

أستاذ مساعد- جامعة الخرطوم - كلية التربية- قسم اللغة العربية

د. محمد آدم عبدالرحمن صالح

أستاذ مساعد- جامعة الخرطوم - كلية التربية- قسم اللغة العربية

مستخلص

هدفت الدراسة إلى تناول مجالس الشعراء التي أثْرى بها النقد الأدبيّ في عهد بني أمية، وهي مجالس بيئتين شعريتين كثر فيهما انعقاد مجالس الشعراء حول نقد الشعر، وهما بيئتا العراق والحجاز، ولعلّ مجالس البيئات الأخرى كانت تبعًا لهاتين البيئتين لشهرة شعرائها وتقدمهم في الشعر أو لكثرة تجوال شعراء البيئتين بين الحواضر لمدح الخلفاء والأمراء تكسبًا وإلهاءً للجمهور في الأسواق مشاركين بذلك في الشعر الطارئ على البيئات الأخرى كالشام ومصر وخراسان.

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: إنّ النقد في مجالس الشعراء كان تبعًا للمجالس الشعرية التي اشتهرت بها البيئات الشعرية المختلفة، ففي العراق كانت المجالس تدور حول شعر المدح والهجاء والفخر، وفي الحجاز ذاع شعر الغزل بنوعيه واشتهر، وكان تفضيل الشاعر على غيره قائم على إجادة الغرض الشعري أو الأغراض التي اشتهرت في بيئته، واتبع الشعراء في نقد بعضهم بعضًا مقاييس تمثلت في:

ملائمة المعاني للألفاظ، طول نفس الشاعر وتعدد الأغراض التي يتناولها، إضافة لسلامة الذوق وأصالة الطبع.

مقدمة

لشعراء العهد الأمويّ مجالسهم الخاصة - كما الخلفاء والأمراء والنقاد والنحاة – يجتمعون فيها ويتذاكرون الأشعار وينقد بعضهم شعر بعض في المعاني والصور والتشبيهات وغيرها، وكان بين بعضهم توادّ وتعاطف كما هو معروف بين الكميت والطرماح من صداقة على ما بينهما من اختلاف المذهب، فقد كان الأول شيعيّا والآخر خارجيّا . وما بين جرير والفرزدق أيضا من الود والمخالطة رغم ما ثار بينهما من نقائض، فقد كانا يرحلان معًا من البادية إلى الحواضر ويمدحان الخلفاء والأمراء ويتباريان في مجالسهم وينالان عطاياهم أو يتناقضان في سوق المربد، ويقف كل منهما مع الآخر إذا ألمّت به محنة، ومن ذلك عندما طلب المهلّب جريرًا لقتال الأزارقة كلّم الفرزدق المهلب في إعفائه، وتشفع جرير للفرزدق كذلك عندما هجا خالد القسري وهمّ الأخير بقتله وحبسه.

تهدف الورقة إلى تناول مجالس الشعراء التي أثْرت النقد الأدبيّ في عهد بني أميّة وهي مجالس بيئتين شعريتين كثُر فيهما انعقاد مجالس الشعراء حول الشعر وهما بيئتا العراق والحجاز، ولعل مجالس البيئات الأخرى كانت تبعًا لهاتين البيئتين لشهرة شعرائها وتقدمهم في الشعر أو لكثرة تجوال شعراء البيئتين من وإلى الحواضر لمدح الخلفاء والأمراء تكسبًا وإلهاءً للجمهور في الأسواق مشاركين بذلك في الشعر الطارئ على البيئات الأخرى كالشام ومصر وخراسان.

مجالس شعراء بيئة العراق

لمّا كان أكثر الشعر الذي شغل الناس في العصر الأمويّ صادراً عن الشعراء الفحول الثلاثة، كذلك كان النقد، فقد كان لكل من جرير والفرزدق والأخطل آراء نقدية في شعرهم وفي شعر غيرهم ممّن عاصروهم، ولهم آراء نقدية أيضا في شعر

مَن سبقوهم من الشعراء الإسلاميين والجاهليين. ولمكانتهم الشعرية في زمانهم نرى بعض الشعراء يعرض عليهم شعره لإجازته قبل إذاعته في الناس، فإن استحسنوه نُشر وإلاّ فلا، وذلك كما رُوي أن الكميت بن زيد لمّا قال الشعر كان أوّل ما قال من الهاشميات، فسترها ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسديّ، قال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نُفث على لساني فقلت الشعر، فأحببتُ أن أعرضه عليك، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وأن كان قبيحا أمرتني بستره وكنتَ أوّل من ستر عليّ. فقال له الفرزدق: أمّا عقلك فحسنٌ، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده [1]:

طربتُ وما شوقا إلى البيض أطرب

قال: ففيم تطرب يا ابن أخي. فقال:

ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب؟

فقال: يا ابن أخي، فالعب فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يلهني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ... ولم يتطرّبني بنان مخضّب

فقال: وما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحات عشيّة ... أمرّ سليم القرنِ أم مرّ أعضبُ

فقال: أجل لا تتطيّر، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى ... وخيرِ بني حواء والخير يُطلَبُ

فقال: ومن هؤلاء ويحك؟ فقال:

بني هاشمٍ رهط النبيِّ فإنّني ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضبُ
خفضت لهم مني جناحي مودّة ... إلى كَنَفٍ عِطفاه أهل ومرحبُ

١ ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق د. نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ط١ ٢٠٠٠م، ص٥١٢

وكنتُ لهم من هؤلاء مُحبّاً، على إنّي أُذمُّ وأُقصبُ
وأُرمِى وأرمَي بالعداوة أهلها وإني لأُوذى فيهم وأُؤنّبُ

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي أذع أذع، فأنت والله أشعرُ من مضى وأشعر من بقي[١]، والخبر برواية أخرى في خزانة الأدب لا تختلف كثيرا عما استشهدنا به[٢].

ومن أمثلة هذه المجالس التي ينقد فيها الشعراء بعضهم بعضا، ما رواه المبرد أنّ الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له، فكان فيما أنشد:

وقد رأينا بها حورا منعّمة بيضاء تكامل فيها الدلُّ والشنب

فثنى نصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحصي خطأك، تباعدت في قولك (تكامل فيها الدلُّ والشنب)، هلا قلت كما قال ذو الرمة[٣]:

لَمياءُ في شفتيها حوّةٌ لَعس وفي اللثاتِ وفي أنيابها شنبُ»[٤]

والذي عابه نصيب على الكميت هو عدم تناسق الكلمات والبعد بين معانيها، فالعلاقة بين التدلل والشنب، تكاد تكون معدومة، هذا بخلاف كلمة شنب في بيت ذي الرمة، فالكلام جار على نسق ومشاكلة وقرب في المعنى. فذكرُ اللثة والأنياب ليس بعيدًا عن الشنب الذي هو رقة وعذوبة في الأسنان.

وزاد الزجاجي في الخبر السابق أن الكميت أنشد نصيب (أبت هذه النفس إلا ادّكارا)، فلما بلغ إلى قوله[٥]:

---

١ الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ط دار الكتب ١٩٥٣م، ج١٧، ص٢٩

٢ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٧م ج٤،ص٣١٥

٣ ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي بيروت ط١٩٩٦٣م ص١٢

٤ الكامل في اللغة الأدب والنحو والتصريف، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٦م ط١ ج٢ ص١٥٩. والدلُّ هو تدلّلُ المرأة على زوجها، وذلك أن تريه جراءة عليه في تغنُّج وتشكّل كأنها تخالفه وليس بها خلاف، والشنبُ: ماءٌ ورقّة يجري على الثغر، وقيل رقة وبردٌ وعذوبةٌ في الأسنان، أنظر لسان العرب، ابن منظور، مادة دلل، ومادة شنب.

٥ ديوان الكميت بن زيد الأسدي، مصدر سابق ص١٥٨

إذا مـا الـهـجـارسُ غـنّـينها تـجـاوبنَ في الفلـوات الوِبـارا

فقال نصيب: الفلوات لا تسكنها الوبار[1]. فلما بلغ إلى قوله:

كـأنّ الـغـطـامِطَ مـن غليهـا أراجيـزُ أسـلـمَ تهجـوا غِفـارا

فقال له نصيب: ما هجت أسلمُ غفاراً قط. فانكسر الكميت وأمسك[2].

وحَكَمَ جرير لنفسه بالتفوق على صاحبيه الفرزدق والأخطل مع اعترافه بكفاءتهم الشعرية، فقد روى أبو الفرج أن عكرمة بن جرير سأل أباه عن أشعر الناس، فذكر أن شاعر الجاهلية زهير، وشاعر الإسلام الفرزدق، فقال عكرمة: والأخطل؟ فقال: يجيد صفة الملوك ويجيد نعت الخمر، فقال: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإني نحرت الشعر نحرا»[3].

إن جريرا هنا وإن كان يعترف بمنزلة زهير والفرزدق والأخطل الشعرية، إلاّ أنّه يحتفظ لنفسه بالتفوق، لأنّ سيطرته على الشعر تفوق ما قاله عن الآخرين، أمّا الأخطل فلا يجيد إلاّ غرضين اثنين هما: صفة الملوك ونعت الخمر دون غيرهما من الأغراض، وهذا ما جعله أقلّ مرتبة من الفرزدق وجرير، ولعلّ هذا ما جعل البعض يرى أن الأخطل لم يكن مثلهما ولكنّ تغلب تعصّبت له وأفرطت فيه[4].

وفي خبر آخر أورده أبو الفرج، أن عبد الملك أو ابنه الوليد قال لجرير: مَن أشعر الناس؟ قال: ابن العشرين، قال فما رأيك في ابْنَيْ أبي سلمى؟ قال: كان شعرهما نيّرا يا أمير المؤمنين، قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيثُ الشعر نَعلين، وأقسم

---

١ الهجارس: جمع هجرس، وهو القرد والثعلب أو ولده، وهو الدب أيضا، أو هو من السباع كل ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع، والوبار جمع وبرة بالتسكين دويّبة أصغر من السنور طحلاء اللون لا ذنب لها. انظر لسان العرب مادة(هجس) ومادة (وبر)

٢ مجالس العلماء، لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هرون، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م ، ص١٨٢

٣ مجالس العلماء للزجاجي، سابق، ج١٨، ص١٥

٤ انظر الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني، جمعية نشر الكتب العربية والمطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٣ه ص١٨٣

بالله لو أدركتُه لرفعت ذلاذله، قال: فما تقول في ذي الرمّة؟ قال: قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه ما لم يقدر عليه أحدٌ، قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: فما أخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات، قال فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله أمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئا، قال: بلى والله يا أمير المؤمنين، إنّي لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبتُ فأطربت، وهجيتُ فأرديتُ، ومدحتُ فسنّيتُ، وأرملتُ فأعزرتُ، ورجزت فأبحرتُ، فأنا قلت ضروب الشعر كلها وكل واحد منهم قال نوعا منها، قال: صدقت[1].

فجريرٌ في هذه المحاورة يفضل من شعراء الجاهلية ابن العشرين وهو طرفة بن العبد، وفي موضع سابق كان قد فضّل الشاعر زهير ابن أبي سلمى، فعبارة (أفضل الشعراء) تتبدل بتبديل المكان والزمان، وليست حكما ثابتاً عاماً، فالشاعر يخضع للحظة التي تعقب الاستماع للقصيدة، أو التركيز على موضوع معين. ولذا تناقضت أحكام الحكم الواحد في كثير من الأحيان كما رأينا عند جرير الذي حكم في المرة الأولى لطرفة بن العبد من شعراء الجاهلية، وعندما سأله السائل عن ابنَيْ أبي سلمى وهما زهير وابنه كعب، وصف شعرهما بأنه نيّر، وأما امرؤ القيس فإنه انتعل الشعر، أي تحكم فيه واعتلاه، ووصف ذا الرمة بأنه قدر من ظريف الشعر وغريبه وحَسنه ما لم يقدر عليه أحد، ولعلّه قصد بذلك أن شعر ذي الرمة كان يجمع بين رقة الشعر الحضري وجزالة الشعر البدوي، فظريف الشعر وحسنه قد يتمثل عند ذي الرمة في نسيبه ووصفه وتشبيهاته، كما قد يتمثل غريب شعر ذي الرمة في بائيته الكبرى، التي تربو عن مائة بيت والتي عدها صاحب الجمهرة من الملحمات[2] ومطلعها[3]:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

ثم وصف واحدًا من معاصريه وخصومه فأشار إلى مسيحيته، ثم وصف معاصراً

١ الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ط دار الكتب، ج٨ ص٥٣

٢ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، محمد علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر ص٧٤٤،

٣ ديوان ذي الرمة ، سابق، ص١٩

آخر وهو الفرزدق بان في يده نبعة من الشعر، أي قابضٌ على أصل من الشعر، وعندما سُئل عمّا أبقاه لنفسه ذكر أنه مدينة الشعر منها يخرج وإليها يعود، إذ قال في مختلف الأغراض وأجاد، بينما تميز غيره بالتفوق في غرض واحد، وهو بهذا يشترط في التفوق تعدد الموضوعات والأغراض والإجادة فيها.

لقد أطلق جرير أحكاما عامة تتسم بالتعميم وعدم التعليل، لا تعتمد على مقاييس نقدية واضحة، بل حَكَم جرير بناءً على معرفته العامة بشعر هؤلاء الشعراء، وبناءً على ذوقه السليم وطبعه الأصيل، فجاءت أحكامه شبيهة بالأحكام النقدية في العصرين السابقين: العصر الجاهلي، وعهد البعثة والخلافة الراشدة، ولكن جرير عندما تحدث عن نفسه وحكم على شاعريته فصّل القول وذكر بعض المميزات منها: كثرة الشعر وتنوع الأغراض، والبراعة في كل غرض من الأغراض الشعرية التي طرقها، ولعله قصد هذا الأمر لإثبات تفوقه على غيره من الشعراء.

وهذا الاقتدار والتمكن في قول الشعر هو الذي جعل الشاعر ينتقل من الغرض الشعري إلى غيره دون عناء، وهذه ميزة استحق بها أصحابها نيل المكانة الرفيعة بين أقرانهم، بينما نجد بعض الشعراء يجيد في غرض شعري واحد ولا يستطيع الإجادة في غيره، ولذلك يقول ابن قتيبة (والشعراء أيضا في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المدح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل)[1]، حتى أن اقتصار الشاعر على غرض واحد أصبح تهمة تنقص من قيمته الشعرية، ولذلك يتبرأ العجاج من العجز عن الهجاء عندما اتُهم بذلك، فقد أورد ابن قتيبة أنه: (قيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء، فقال: إن لنا أخلاقا تمنعنا من أن نَظْلم وأحسابا تمنعنا من أن نُظْلم، وهل رأيتَ بانيا لا يحسن أن يهدم)[2].

ويبدو أن حجة العجاج واهية ضعيفة فليس المدح بناء والهجاء هدماً، بل هي طبائع فلكل شاعر طبع مختلف، ولذلك يرد ابن قتيبة على العجاج بقوله (وليس هذا

١ الشعر والشعراء، أبو محمد عبدالله ابن مسلم بن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف ط٢ ج١ ص٩٤

٢ المصدر نفسه ص٩٥

كما ذكر العجاج ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل، لأن المديح بناء والهجاء بناء وليس كل بانٍ بضرب بانٍ بغيره، ونحن نجد ذلك في أشعارهم كثير، فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها وأجودهم تشبيباً وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحيّة، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع وذلك أخّره عن الفحول فقالوا في شعره: أبعار غزلان ونقط عروس، وكان الفرزدق زير نساء وصاحب غزل وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب، وكان جرير عفيفًا عزهاة عن النساء وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيبًا)[1].

وما رُدّ به على العجاج يُردّ به على نصيب، رغم انتمائه لبيئة الحجاز المشهورة بغير المدح والهجاء، فقد أدرك معاصروه أنه لا يحسن الهجاء، ولكنه رفض الاتهام الموجه إليه بحجة ربما تكون هي أيضا ضعيفة، فعندما قيل له (إن الناس يزعمون إنك لا تحسن أن تهجو، فضحك ثم قال: أفتراهم يقولون إني لا أحسن أن أمدح؟ أفما تراني أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله)[2] والواقع أن نصيب يحتج بحجة غير سديدة، فليس المدح عافاك الله، وليس الهجاء أخزاك الله، وإنما للمدح أصوله وقواعده التي تختلف عن أصول الهجاء، ولكن نصيبا وغيره يعلمون قيمة الشاعر الذي يحسن مختلف ضروب الشعر عند الناس، فأصبح بعضهم يدّعي أنه يجيد جميع الأغراض طمعاً منه أن ينال مكانة الفحول الذين يحسنون مختلف الأغراض والفنون وفي مقدمتها المدح والهجاء، ويؤكد ذلك هذا الحوار الذي دار بين الفرزدق وذي الرمة، فقد روى أبو الفرج أن الفرزدق وقف على ذي الرمة وهو ينشد قصيدته الحائية التي قال فيها[3]:

إذا ارفـضَّ أطـرافُ السـياطِ وهُلِّلتْ جُـرُومُ المطايـا عذّبتهُـنّ صيـدحُ

فقال ذو الرمّة: كيف تسمع يا أبا فراس؟ قال: أسمع حسناً. قال: فمالي لا أُعدّ في الشعراء الفحول؟ قال يمنعك من ذلك ويباعدك ذكرك الأبعار، وبكاؤك الديار، ثم قال:

---

١ الشعر والشعراء، ج١ ص٩٥

٢ الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، ط دار الكتب، سابق ج١ ص٣٥٥

٣ ديوان ذي الرمة، سابق ص٤٦

ودويّةٍ لــو ذو الرُّميـمةِ رامـها لقـصّر عنهـا ذو الرُّميـم وصيـدحُ
قطعتُ إلى معروفها منكراتها إذا اشــتد آل الأمْعــرِ المتوضــحُ[1]

إنَّ ذا الرمة هنا يتمنى مكانة الفحول من الشعراء، يتمنى مكانة جرير والفرزدق والأخطل ولكنّه عاجز عن المدح والهجاء، وعاجز من أن يخرج من بيئة البادية وتصويرها، ولقد برع في ذلك كثيرًا، ولكنّ الفحولة لا تُعطَى إلا لمن يحسن ضروبًا من الشعر متعددة، وعلى رأسها المدح والهجاء.

وعلى هذين الغرضين بجانب الفخر قامت النقائض؛ فالنقيضة مبنيّة على المدح والهجاء والفخر، وشاملةً أغراضاً أخرى شتى، فجرير والفرزدق والأخطل يعدون من أهم شعراء النقائض، بل هم الوحيدون المبرزون في النقائض، أما الآخرون كالبعيث المجاشعي[2]، والراعي النميري[3] فلم يثبتوا طويلاً، وتخلوا عن ذلك في أوّل الطريق.

والناظر في قصائد النقائض يجد أن القصيدة تتوفر فيها معظم أغراض الشعر،

---

١ الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، ط دار الكتب، سابق ج١٨ ص١٥

٢ البعيث المجاشعي واسمه خداش ابن بشر بن خالد بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع وكان يكنى أبا مالك. الشاعر المشهور دخل بين جرير وغسان السليطي وأعان غسان فنشب الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق وسقط البعيث،انظر المؤتلف والمختلف، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحند بن مسعود بن النعمان بن دينار الدارقطني البغدادي الآمدي، تحقيق موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٦م ط١ ص٦٨، وطبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني جدة ح٢ ص٥٣٣، ومعجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٦م ط١ ج٣ ص١٢٤٧

٣ راعي الإبل وهو عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير سمي راعي الإبل لكثرة صنعته بها وحسن نعته قالوا ما هو إلا راعي فلزمته، من فحول الشعراء المحدثين، كان من جلّة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد.وقيل: كان راعَي إبلٍ من أهل بادية البصرة.عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضّل الفرزدق فهجاه جرير هجاءاً مُرّاً وعده ابن سلام من أصحاب الطبقة الأولى في العصر الإسلامي. انظر تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروفبابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٥م ج٣٨ ص١٨٦، طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، سابق ج٢ ص٢٩٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن عبدالله بن أحمد بن قايماز الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م، ط٣ج٤ ص٥٩٧

تبدأ بالغزل أو الوقوف على الأطلال، ثم مدح لخلفاء وأمراء بني أمية، ثم الفخر ثم هجاء الخصوم، كل ذلك نجده في مثل قصيدة الأخطل[1]:

خـفّ القطينُ فراحوا منـك أو بَكَـروا وأزعَجَتْهــم نــوىً في صَرْفهــا غِــيرُ

يقول شوقي ضيف: (وبهذه الطريقة أصبحت النقيضة لا تحوي فخراً وهجاءً فحسب كما كان الشأن في القديم، بل أخذت في بعض قصائدها على الأقل تحوي مديحاً وسياسة عصرية، ويقدم الشاعر لذلك كله ببكاء الأطلال ووصف رحلتهم في الصحراء وقد يضيف الأخطل نعتا للخمر، وبذلك تشمل بعض نقائضه على جل فنون الشعر التي عرفت حينئذٍ)[2].

ثم يجعل شوقي ضيف ذلك علة لتقدم جرير والأخطل واعتبارهما أكبر شعراء عصرهم بل فحوله، فيقول: (ولعلنا بذلك نستطيع أن نفهم لماذا عُدّ جرير والأخطل شاعرين كبيرين في هذا العصر، فقد نهضا بهذا الفن الجديد، وكان فنا صعبًا، إذ كان معقدًا هذا التعقيد. لم يعد الهجاء ببيتين أو أبيات تسبّ بها قبيلة أخرى، بل أصبح قصائد طويلة تعتمد في طولها على درس عميق للحياة الجاهليّة وما كان بين القبائل العربية فيها من خصومات، كما تعتمد على درس الحياة الإسلامية الحديثة وما طرأ عليها من ظروف سياسية)[3].

وبذلك نعرف لماذا تقدم شعراء النقائض على غيرهم واستحقوا هذه الفحولة.

وكان جرير يفضل في شعره قصيدة بعينها، هي قصيدته الدالية التي يبدأها بقوله[4]:

أهــوىً أراك برامتــين وَقُــودا أم بالـجـُنَيْــنَة مــن مدافِـعِ أُودا

فقد روى أبو الفرج أن حاكم اليمامة كلّما قدم إليه ابن جرير كان يسأله عن أجود

١ ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه وقدم له، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢ ١٩٩٤م، ص ١٠٠

٢ التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، ص١٧٢

٣ المرجع نفسه، ص١٧٣

٤ ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد حبيب، دار المعارف، ط٣، ص٣٣٧

شعر أبيه، وكان لا ينشده إلا الدالية ويقول: (هذه أجود شعر أبي وكان يقدّمها على جميعه)[1].

أما جرير والفرزدق فقد اختلف شعراء عصرهم أيُّهما أفضل، وأشهر من حكم بينهما الأخطل عند بشر بن مروان عندما أمره بذلك فقال (الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر)[2] فلم يرض بذلك جرير وكان سبب الهجاء بينهما، فقال جرير في حكومة الأخطل هذه[3]:

يا ذا الغباوة إنّ بشرا قد قضى	ألاّ تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها	إن الحكومة في بني شيبان
قتلوا كُليبكم بلقحة جارهم	يا خُزر تغلب لستم بهجان

والحقيقة أن مقولة (جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر) ترددت على أكثر من لسان، وهي تلخص خصائص كل شاعر، فالمعروف أن شعر جرير سهل وأغراضه متعددة، أما الفرزدق ففي شعره الغريب ولذلك جذب اهتمام اللغويين حتى قال عنه يونس بن حبيب (لولا الفرزدق لذهب ثلث اللغة)[4].

وأما الصلتان العبدي، فهو من أشهر القضاة الذين حكموا بين الفرزدق وجرير وكانت حكومته شعرا، فقضى بشرف الفرزدق على جرير، وبني مجاشع على بني كليب، وقضى لجرير بأنه أشعرهما. فقال:

أنا الصَلتان والذي قد علمتم	متى ما يحكم فهو بالحكم ساطعُ
أتتني تميمٌ حين هابت قُضاتَها	وإني لبالفصل المُبيّن قاطع
كما أنفذ الأعشى قضية عامر	وما لتميم من قضائي رواجع
ولم يرجع الأعشى قضية جعفر	وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ
سأقضي قضاءً بينهم ليس جائرٌ	فهل أنت للحكم المُبيّن سامع

١ الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ط دار الكتب، سابق ج٨ ص٨٣

٢ الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ط دار الثقافة، ج٨ ص١٣٦

٣ ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، سابق، ص١٠١٢

٤ الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ط دار الكتب، سابق، ج٢١ ص٣٩٥

قضاء امرئ لا يتق الشتم منهم ... وليس له في الحمد منهم منافع
فإن كنتما حكّمتماني فاصمتا ... ولا تجزعا وليرض بالحكم قانع
فإن تجزعا أو ترجعا لا أُقلكما ... وللحق بين الناس راض وجازعُ
فأقسم لا آلو عن الحق بينهم ... فإن أنا لم أعدل فهل أنت ضالع

فالصلتان في الأبيات السابقة نوّه بنفسه، ذاكرا عدم تهيبه الحكم حين هابت قضاة تميم من تفضيل أحد شاعريها على الآخر مخافة الاتهام بالانحياز، أما هو فمحايد في حكمه ليس له مصلحة ولا يتق بائقة من بوائقهما وعليهما أن يقتنعا بحكمه مقسمًا بأنّه سوف يعدل في حكمه ولا يحيف، ثم نطق بحكمه في أبياته التالية:

فَإِن يَك بَحر الحنظليين وَاحِدًا ... فَمَا يَسْتَوِي حيتانه والضفادع
وَمَا يَسْتَوِي صدر الْقَنَاة وزجها ... وَمَا يَسْتَوِي شم الذرا والأجارع
وَلَيْسَ الذنابى كالقدامى وريشه ... وَمَا تستوي فِي الْكَفّ مِنْك الْأَصَابِع
أَلا إِنَّمَا تحظى كُلَيْب بشعرها ... وبالمجد تحظى دارمٌ والأقارع
وَمِنْهُم رُؤُوس يَهْتَدِي بصدورها ... والأذناب قدماً للرؤوس تَوَابِع
أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره ... وَلَكِن خيرا من كُلَيْب مجاشع
فيا شَاعِرًا لَا شَاعِر الْيَوْم مثله ... جريرٌ وَلَكِن فِي كُلَيْب تواضع
جريرٌ أَشد الشاعرين شكيمةً ... وَلَكِن علته الباذخات الفوارع
وَيرْفَع من شعر الفرزدق أَنه ... لَهُ باذخ لذِي الخسيسة رَافع
وَقد يحمد السَّيْف الددان بجفنه ... وتلقاه رثا غمده وَهُوَ قَاطع
يناشدني النَّصْر الفرزدق بَعْدَمَا ... ألحت عَلَيْهِ من جرير صواقع
فَقلت لَهُ: إِنِّي ونصرك كَالَّذي ... يثبت أنفًا كشمته الجوادع[1]

وقيل أن الفرزدق رضي بالحكم حين شرّفه وقومه على جرير، وأما جرير فغضب من المنزلة التي أنزله إياها، فقال يهجو الصلتان وهو أحد بني هجرس[2]:

١ خزانة الأدب في ولب لباب لسان العرب، البغدادي، ج٢، ص١٧٦
٢ ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، ص١٠٣١

أقول ولم أملك سوابق عبرة ... متى كان حكمٌ في بيوت الهجارس
فلو كنت من رهط المعلّى وطارقٌ ... قضيتَ قضاءً واضحا غير لابس[1]

فمع اجتهاد الصلّتان في الحكم بتفضيل شعر جرير على الفرزدق إلا أنه لجأ في تحكيمه لعامل آخر هو الشرف الرفيع والمكانة العالية وهو عامل ظل الفرزدق يلح به ويظهره في شعره دائما مفحما به جرير. وقد فضله الصلتان على جرير في الشرف وعلو المكان وهذا دفع جريراً لرفض حكم الصلتان رغم تفضيله على الفرزدق في الشعر.

وحكم مروان بن أبي حفصة بين الثلاثة بقوله[2]:

ذهب الفرَزْدقُ بالفخار وَإِنَّمَا ... حلو الْكَلَام ومرهُ لجرير
وَلَقَد هجا فأمَضَّ أَخطلُ تغلبٍ ... وحَوَى الُّلهى بمديحه المشهورِ
كُلُّ الثلاثةِ قد أبر بمدحه ... وهجاؤُه قد سارَ كلَّ مسيرِ

فَهُوَ كَمَا ترَاهُ حكم للفرزدق بالفخار والأخطل بالمدح والهجاء وبجميع فنون الشّعْر لجرير.وعندما هجا جرير الأخطل معرِّضا بقبيلته تغلب بقوله:

لا تطلبَن خؤولة في تغلب ... فالزنج أكرم منك أخوالا

غضب الزنج، وقال واحد منهم وهو رياح بن سنيح يفضل الفرزدق ويهجو جرير، قال[3]:

إنّ الفرزدق صخرةٌ عاديةٌ ... طالت فليس تنالها الأوعالا
قد قستُ شعرك يا جرير وشعره ... فنقصتَ عنه يا جرير وطالا
ووزنتُ فخرك يا جرير وفخره ... فخُفضتَ عنه حين قلت وقالا
والزنج لو لاقيتهم في صفهم ... لاقيت ثمَّ جحاجحاً أبطالا

١ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، ج٢ ص١٧٨
٢ شعر مروان بن أبي حفصة، جمعه وقدم له الدكتور حسين عطوان، ط٣، دار المعارف، ص٥٥
٣ الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسين، صدر الدين أبو الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب بيروت، بدون ط، ج١ ص١٨٠

إذن النقد في بيئة الشام والعراق عند الشعراء مرتبط بالأغراض التي كانت سائدة فيها، وهي المدح والهجاء الصادران عن التعصب القبليّ أو السياسيّ. فأفضلية الشاعر مقرونة بمدى إجادته في هذين الغرضين دون سواهما، ويبدو أن إطلاقنا كلمة مجلس على ما يدور من انتقاد الشعراء لبعضهم من باب المجاز لاستقدام المحل وإرادة الحال، فربما كان النقد قد دار في مجلس حقا وربما كان في شكل نقائض وردود دون اجتماع بين الشعراء في مكان واحد.

مجالس شعراء بيئة الحجاز

أما شعراء الحجاز فكانت الأفضلية عندهم تعتمد على معايير أخرى غير اجادة فنّي المدح والهجاء، وهذه المعايير اكتسبوها من بيئتهم المترفة الناعمة والتي أغنتهم عن المدح الذي يُراد به التكسب في المقام الأوّل، واغنتهم كذلك عن الهجاء؛ لما أتسمت به الحجاز من بُعد عن السياسة خلا فترات قليلة وبالتالي بعدها عن الأحزاب السياسيّة التي ولّدت العداوات التي تعد سبباً رئيسياً في الهجاء.

ذكرت المراجع أن الحجاز قد انتشر فيها الغزل بنوعيه العذري، والغزل الحضري وتفنَّن الشعراء في ذلك أيّما تفنُّن، واكتفوا بتطوير هذا النوع من الأغراض الشعرية حتى وصلوا به الغاية وأبلغوه درجة الكمال، وحتى وقف الشعراء الآخرون الذين شُهد لهم بالفحولة والتقدّم في بيئاتهم الأخرى وقفوا مشدوهين أمام هذا النوع من الشعر. فقد أعجبهم ونال رضاهم واعترفوا بأسبقيّة شعراء الحجاز في هذا الفن، فها هو الفرزدق يسمع شيئا من نسيب عمر فيقول (هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه)[1]، فهو بذلك يقدمه على جميع من تقدم متغزلا في العصور السابقة إلى عصره. وهذا جرير أكثر الثلاثة معرفة بالغزل والنسيب عندما يسمع قول عمر بن أبي ربيعة[2]:

١ الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، ط دار الكتب، سابق ج١ ص٧٥

٢ ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم بيروت ص٣٠٠

سائــلا الـربــع بـالـبُــلي وقـولا هجــتَ شــوقا ليَ الغــداة طويــلا
أيــن حيٌّ حلّــوك إذ أنــت محفــو فٌ بـهــم آهــلٌ أراك جميــلا
قــال ســاروا فــأمعنوا واســتقلّوا وبزعــمي لــو اســتطعتُ سبــيلا
سئــمــونا ومــا سـئــمــنا مُــقاماً وأحبُّــوا دمـاثــة وسُـهُــولا

فقال جرير: إن هذا الذي كنّا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي»[1].

فإن كان الشعراء الفحول وغيرهم ممن ليسوا من هذه البيئة يتركون مقاييسهم الأخرى ويَخضعون لمقاييس هذه البيئة، فكيف كان حال شعراء الحجاز؟ وماهي المعايير التي وضعوها في التفضيل؟ يجيب عن ذلك نصيب عندما سُئل عن رأيه في أصحابه فقال: (جميل إمامنا، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال، وكُثيّر العذري أبكانا على الدمن وأمدحنا للملوك)[2]، فجميل عنده إمام، فهو معروف بغزله العذريّ المبتكر وصوره الجديده المبتدعة، غير أن غزله يختلف كل الاختلاف عن غزل عمر بن أبي ربيعة؛ وذلك أنّه يتسم بالعفّة والعفاف وصدق العاطفة وشدّة الصبابة والشوق، لا يوصف بأنه شعر جريئ؛ ففيه حفظ لكرامة المرأة وصونها وغير ذلك، فهو بذلك إمام الغزليين من الشعراء، أما عمر ابن أبي ربيعة فيكاد يكون على النقيض من ذلك؛ فهو في غزله متحرر من القيود، يُعبّر عن عاطفته التي تكالبت على اللّذة في غير حرمان، فحكى ووصف وتذكر وصرح بكثير مما كان يدور بينه ومحبوباته في الخفاء من غير تردد ولا عناء. وقد تفنن في ذلك كله أيّما تفنّن وذكره بألفاظ بسيطة واضحة المعاني ذات أنغام موسيقية تقع على الآذان فتستسيغها. أمّا كثيّر فهو أوصفهم لآثار المحبوب وما بقي من أطلال والبكاء على الدمن، ثم بعد ذلك فهو يجيد وصف الملوك.

وقد أقر جميل قبل ذلك بأفضلية عمر بن أبي ربيعة وبدقة وصفه لربات الحجال في أشعاره، فقد روي أن عمر وجميل اجتمعا في الأبطح، فأنشد جميل قصيدته[3]:

١ الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، ط دار الكتب، سابق ج١ ص١٠٦
٢ السابق نفسه، ج١ ص٣٥٥
٣ ديوان جميل بثينة، دار صادر بيروت ص٩٨

لقد فرح الواشون إن صَرَمت حبلي ... بثينةُ أو أبدتْ لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وإنّني ... لأقسم ما بي عن بثينة من مهل
أحِلماً فقبل اليوم كان أوانُه ... أمَ اخشى فقبل اليوم أُوعدت بالقتل

وأنشد عمر قوله[1]:

جرى ناصح بالود بيني وبينها ... فقرّبني يوم الحصاب إلى قتلي
فما أنس مِ الأشياء لا أنس موقفي ... وموقفها وَهْنا بقارعة النخل
فلما تواقفنا عرفتُ الذي بها ... كمثل الذي بي حذْوَك النعلَ بالنعلِ
فقلنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلنا ... قريبٌ، ألمَّا تسأمي مركب النعل
فقالت :فما شئتُنَّ قلنَ لها انزلي ... فلَلأرضُ خيرٌ من وقوف على رحل
فأقبلنَ أمثال الدُمى فاكتنفنها ... وكلٌّ يُفَدي بالمودة والأهل
نجومٌ درايٌ تكنّفنَ صورةً ... من البدر وافت غير هُوجٍ ولا ثُجل

فقال جميل: هيهات يا أبا الخطاب، لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي، وما خاطب النساء مخاطبتك أحد، وقام مشمرا»[2].

لقد قال عمر فأحسن ووصف فأصاب، ولم يكن مبالغة ما قاله الدكتور طه حسين عنه حين قال: (فعمر إذن زعيم الغزليين الأمويّين جميعاً لا نستثني منهم أحداً، ولا نفرّق فيهم بين أهل البادية وأهل الحضر، بل نحن نذهب إلى أبعد من هذا، فنزعم أنّ عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزليين في الأدب العربيّ كله، على أختلاف ظروفه وتباين أطواره منذ كان الشعر العربيّ إلى الآن)[3]. إذ أن شعر الغزل منذ القدم لم يجد من قصر نفسه عليه دون غيره من الأغراض الشعرية كما فعل عمر صاحب هذه المدرسة.

١ ديوان عمر بن أبي ربيعة،سابق ص٢٦٤
٢ الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، ط دار الكتب، سابق ج٨ ص١٤٠
٣ حديث الأربعاء، ج١ ص٢٩٣

ويلاحظ أنّ إجادة مدح الملوك من الأغراض التي لم يعيروها اهتماما، إذ أن الشاعر لا ينال بها تقديما وتفضيلا، فعمر بن أبي ربيعة عندما سُئل عن مدحه للملوك قال (إني لا أمدح الرجال، وإنما أمدح النساء)[1]. فنرى أن الشعراء الذين ذكرهم نصيب، جميعهم يربط بينهم اجادة الغزل والابتكار فيه ثم أنّه أخّر رتبة كثيّر مؤخِرا معه رتبة المدح.

والحق أنّهم لم يترفعوا عن المديح جميعهم، فقد مدح جميل عبد العزيز وعبد الملك ابني مروان، وقد مدح الأحوص بعض خلفاء بني أميّة وكذلك نُصَيْب، وكان كُثيّر عزة علويّ الهوى وهو مع ذلك مدح عبد الملك بن مروان. ولكن هؤلاء الشعراء لم يبلغوا في المدح ما بلغ شعراء العراق، وما كانوا توّاقين إلى ذلك، فقد مدحوا من أجل التكسب والغنى، وهجوا وذموا استثناء ولم يبلغوا ما بلغه شعراء بيئة العراق أيضًا، ولكنهم في بواديهم فرغوا لأنفسهم يعبّرون عن هواهم تعبيرًا حقيقيًا بعيدًا عن التكلف والاصطناع، ولذلك كان الغزل هو المحور الذي تدور حوله كل آرائهم وتفضيلاتهم للشعر والشعراء. روى أبو الفرج في الأغاني عن أبي عبيدة قال (دخل علينا كثيّر يومًا وقد أخذ بطرف ريطته وألقى طرفها الآخر وهو يقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول[2]:

وخـبّرتماني أنّ تيمـاء مـنزلٌ ... لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنّي قد انقضت ... فـمـا لـلـنوى تـرمي بليلى المراميا

ويجر ريطته حتى يبلغ إلينا، ثم يولي عنا ويجرها وهو يقول: والله هو أشعر الناس حيث يقول[3]:

وأنـت التـي إن شـئت كدّرت عيشتي ... وأن شـئت بعـد الله أنـعـمت باليا
وأنـت الـتي مـا مـن صديق ولا عِدًا ... يـرى نضـوَ مـا أبقيـتِ إلا رثى ليـا

١ الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، ط دار الكتب، ج١ ص٧٤
٢ ديوان جميل، ص١٣٩
٣ ديوان جميل ص١٣٩

ثم يرجع إلينا ويقول: هو والله أشعر الناس، قلنا: من تعني يا أبا صخر؟ قال: ومن أعني سوى جميل، هو والله أشعر الناس حين يقول هذا»[١]

ومثل هذا الشعر هو الذي كان يأسر قلوب أهل الحجاز لما فيه من هوى وصبابة، ولمناسبته للغناء والموسيقى، وقد اشتهرت الحجاز بذلك، وكان للمغنيين دور بارز في إغراء الشعراء بتقديم اشعار تصلح للغناء من حيث إيقاعها وألفاظها ومعناها وجمال الإيقاع الذي يريح صوت المغني، وهذا ما وُجد في شعر الحجاز الذي بعُد عن الألفاظ الجاهلية البدوية الخشنة الغليظة.

وأمثلة آراء الشعراء في شعر بعضهم البعض في بيئة الحجاز كثيرة جدا أوردها أبو الفرج وغيره، معظمها تدور حول شعر الغزل، وكيف أنهم سعوا إلى جعله المثل الأعلى لديهم، فهم ينقّحونه ويهذّبونه، ويجلّون ما جاد منه وما حسن ويستهجنون ما قبح منه واضمحلّ.

ومن هذه المجالس أن عمر بن أبي ربيعة ونصيب والأحوص شخصوا إلى كثيّر عزة، فأقبل عليهم وقال: يا أخا قريش، والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكن خبرّني عن قولك[٢]:

قالت لها أختها تعاتبها ... لتُفسِدِنَّ الطواف على عُمر
قومي تصدي له ليُبْصِرَنا ... ثمّ اغمزيه يا اخت في خفرِ
قالت لها قد غمزته فأبى ... ثمّ اسبطرتْ تشتدُّ في أثري

والله لو قد قلت هذا في هرّة أهلك ما عدا، أردتَ أن تنسب بها فنسبت بنفسك، أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بالخفر وإنها مطلوبة ممتنعة، هلا قلت كما قال هذا؟ وضرب بيده على كتف الأحوص[٣]:

١ الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، ط دار الثقافة، ج٨ ص١٢٦
٢ ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٦٩
٣ شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه عادل سليمان جمال، قدم له د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ١٩٩٠م، ص١٥٦

أدور ولــولا أن أرى أم جعفــر بأبيـاتــكم مـا درت حيـث أدور
ومـا كنـتُ زوّارا ولكـنّ ذا الهـوى إن لــم يُــزر لا بــد أن ســيزور
لـقــد مَنـعــتْ معروفها أمُّ جعفر وإنــي إلــى مـعـروفــها لـفــقيرُ

قال: فامتلأ الأحوص سرورًا، ثم أقبل عليه فقال: يا أحوص خبّرني عن قولك[1]:

إن تــصــلي أصلــك وإن تعـودي لـهـجــرٍ بــعد وصلــك لا أُبـالي

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت، هلا قلت مثل ما قال هذا؟ وضرب بيده على جنب نصيب:

بزينـب ألـم قبل أن يظعن الــركب وقـل أن تملينـا فمـا ملّـك القلـبُ

قال: فانتفخ نصيب، ثم أقبل عليه وقال: ولكن خبرني عن قولك يا أسود:

أهيم بدعدٍ ما حُييت فــإن أمــُت فـوا حـزنى مـن ذا يهيـم بهـا بعـدي

كأنك اغتممتَ ألا يُفعل بها بعدك. فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة[2].

فعمر بن أبي ربيعة شبّب بنفسه وناقض في حكايته عن صاحبتها، فذكر نهيها أياها عن افساد الطواف له، ثم إنها قالت لها (قومي تصدي)[3]، فاجتمع في ذلك عيبان، والأحوص قد تجلّد في عشقه وتمنّع، والتجلد ليس من صفات العاشقين، وإنما من صفاتهم الإلحاح والطلب وعدم اليأس، وأما نصيب فقد عيب بيته في كل المجالس، فعابه عبد الملك في مجلسه، وهو من هو في العلم بالشعر ونقده وعابه ابن أبي عتيق، والسيدة سكينة بنت الحسين وكفى بهما علما بالشعر ودراية بنقده.

ويتضح من هذا المجلس إن النقد عند الشعراء القدامى في الحجاز كان يعبّر عن

١ السابق نفسه، ص٢٣٣

٢ الكامل في الأدب، المبرد، سابق ج٢ ص١٥٥

٣ الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية بيروت، ١٤١٩هـ، ص١١٥

فهمهم الشعر بأنه أداة ترجمة المشاعر بطريقة عاقلة جميلة، ولا يقتصر الشعر عندهم على مجرد رصف الكلمات والتعبيرات المنمّقة والتشبيهات الغريبة، بالإضافة إلى أنّ النقد عندهم لم يكن تشفياً أو انتقاماً ولكنّه كان وسيلة لحفظ الذوق وسلامة الأدب.

أورد صاحب التذكرة الحمدونية الخبر السابق، والذي اجتمع فيه كل من عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيب، اجتمعوا عند كثير عزة فأثنى على بعض شعرهم ونقد بعضه، أضاف ابن حمدون: «أن عمر قال لكثير: قد أنصتنا لك فاسمع إليّ، أخبرني عن تخيّرك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث تقول[1]:

ألا ليتنا يا عزُّ كنا لذي غنى ... بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عرّ فمن يرنا يقل ... على حسنها جرباء تعدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهلُه ... علينا فما ننفك نُرمى ونُضربُ
وددتُ وبيت الله إنّك بكرةٌ ... هجان وأني مصعب ثم نهرب
نكون بعيري ذي غنى فيُضيعُنا ... فلا هو يرعانا ولا نحنُ نُطلبُ

ويلك! أتمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمي والطرد والمسخ؟ فأيّ مكروه لم تتمنّ لها ولنفسك؟ لقد أصابها منك مثل قول الأول: معاداة عاقل خيرٌ من مودة أحمق. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: خبرني بخبرك وتعرضك للشر وعجزك عنه، وإهدافك لمن رماك، أخبرني عن قولك[2]:

وقلنَ - وقد يكذبن- فيك تعيّف ... وشؤمٌ إذا ما لم تُطع صاح ناعقه
وأعييتنا لا راضيا بكرامةٍ ... ولا تاركا شكوى الذي أنت صادقه
وأدركت صفوَ الودّ منّا فلمتنا ... وليس لنا ذنبٌ فنحن موادقه
وألفيتنا سلما فصدعت بيننا ... كما صدّعت بين الأديم خوالقه

١ ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ١٩٧١م ص١٦١
٢ ديوان كثير عزة ص٣٠٧

والله لو احتفل عليك هاجيك لما زاد على ما بُؤت به على نفسك. قال: فخفق كما يخفق الطائر. ثم أقبل عليه نصيب فقال: قد تمنّيت معرفة غائب عندي علمه فيك حيث تقول[1]:

وددت ومـا تغـني الـودادة أنّـني بمـا في ضمـير الحاجبيّـة عالـم
فـإن كان خـيرا سرّني وتركتـه وإن كان شرّا لـم تلمـني اللّوائـم

انظر في مرآتك، واطّلع في جيبك، واعرف صورة وجهك، تعرف ما عندها لك. فاضطرب اضطراب العصفور، وقام القوم يضحكون»[2].

وأخيرا يتضح أنّ هذه البيئة على النقيض من بيئة العراق والشعر الطارئ على الشام، فحينما تركزت كل أهتمامات الشعراء في العراق على المدح والهجاء والفخر، ولم يُعد ذو الرمة من الفحول لعدم اجادته هذه الأغراض، كانت هذه الأغراض في الحجاز ليست ذات شأن يذكر ولا تغضُّ من قيمة الشاعر، فالمجالس التي في الحجاز ذات طابع حضاري مترف عاش شعراؤها في رغد من العيش ولين، فكانت نظرتهم للشعر تختلف عن نظرة البداة الذين أشربوا حب الولاء للقبيلة والذين انغمسوا في السياسة إلى أخمصهم.

الخاتمة والنتائج

بعد تتبعنا لنقد الشعراء بعضهم بعضًا، ووضوح جانب من ثراء النقد المتمثل في مجالسهم التي يعقدونها دونما إملاء أوإكراه، أو طمع في مكسب ببرّ الآخرين كما في مجالس الخلفاء والأمراء نخلص إلى ما يأتي:

أولاً: كان الشعراء في البيئات المختلفة في جو من المخالطة والود هدفها بيان سلامة الشعر وتجويده، حتى شعراء النقائض رغم هجائهم لبعض كانوا على علاقة ود

١ لم نجد هذه القصيدة في الديوان.

٢ التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي، دار صادر بيروت،ط١ ١٤١٧هـ، ج٧ ص٢٩٣

واعتراف بتفوق الآخر عليهم في بعض الأغراض وهذا يدلل أن الهدف من النقائض ملء فراغ الجمهور وتسليته.

ثانياً: كان النقد الدائر في مجالس الشعراء تابعا لأغراض الشعر المشهورة في البيئات المختلفة، فمجالس الشعراء في الشام والعراق دائرة حول المديح والهجاء والفخر، في حين دارت مناقشات مجالس شعراء الحجاز في الغزل، ولا شك أن المؤثرات التي أحاطت بالبيئتين – كلّ على حده- لها دور في توجيه الشعر ومن ثم النقد، والشعراء كانوا على دراية بذلك رغم مبرراتهم غير المقنعة التي يسوقونها كقول العجاج ونصيب في الهجاء وعمر بن أبي ربيعة في المدح.

ثالثاً: المقاييس التي اتبعها الشعراء في نقد بعضهم بعضا تمثلت في ملائمة المعاني للألفاظ المستخدمة، وطرق أبواب كثيرة من الشعر ، والوصف الجيد وكثرة الشعر اضافة لسلامة الذوق وأصالة الطبع مع الأخذ بالمقاييس العامة دونما تعليل كما في العصر الجاهلي كقولهم هذا أشعر الشعراء.

رابعاً: تدخُل في هذه المجالس الحكومات المقامة في تفضيل شاعر على آخر كحكومة الأخطل -بأمر بشر بن مروان- في جرير والفرزدق، والصلتان العبدي وغيرهم، وكذا عرض بعض ناشئة الشعراء أشعارهم على الفحول اعترافا بامتلاكهم ناصية الشعر.

المصادر والمراجع

١. **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة دار الثقافة، بيروت، وطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٣م، وطبعة ساسي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر.

٢. **الأمالي**، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. **البيان والتبيين**، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧ ١٩٩٨.

٤. **تاريخ الأدب العربي**، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢٠، ٢٠٠٢م.

٥. **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق، عمرو

بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر،١٩٩٥م.
٦. **التذكرة الحمدونية**، محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي، دار صادر بيروت،ط١ ١٤١٧هـ.
٧. **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨.
٨. **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر.
٩. **حديث الأربعاء**، طه حسين، دار المعارف، ١٩٢٩م.
١٠. **الحماسة البصرية**، علي بن أبي الفرج بن الحسين، صدر الدين أبو الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب بيروت، بدون ط.
١١. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجر القاهرة، ط٤ ١٩٩٧م.
١٢. **ديوان الأخطل**، شرحه وصنف قوافيه وقدم له، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢ ١٩٩٤م.
١٣. **ديوان جرير**، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد حبيب، دار المعارف، ط٣.
١٤. **ديوان جميل بثينة**، دار صادر بيروت.
١٥. **ديوان ذي الرمة**، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ ١٩٩٦.
١٦. **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، دار القلم بيروت.
١٧. **ديوان كثير عزة**، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ١٩٧١م.
١٨. **ديوان الكميت بن زيد**، جمع وشرح وتحقيق د. نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ط١ ٢٠٠٠م
١٩. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣ ١٩٨٥.
٢٠. **شعر الأحوص الأنصاري**، جمعه وحققه عادل سليمان جمال، قدم له د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ١٩٩٠م.
٢١. **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف ط٢.

٢٢. **شعر مروان بن أبي حفصة**، جمعه وقدم له الدكتور حسين عطوان، ط٣، دار المعارف.
٢٣. **الصناعتين**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٤. **طبقات فحول الشعراء**، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.
٢٥. **الكامل**، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة القاهرة، ط١ ١٩٥٦هـ.
٢٦. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، دار صادر بيروت، ط٣ ١٤١٤هـ .
٢٧. **المؤتلف والمختلف**، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني، تحقيق موفق بن عبد الله عبد القادر،دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١ ١٩٨٦م.
٢٨. **مجالس العلماء**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م.
٢٩. **معجم الأدباء**، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١ ١٩٩٣م
٣٠. **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤٣هـ.